معرض جماعي

في «دارة الفنون»... شواهد (فنية) على قبر الحداثة

عمان ـ **يزن الأشقر**

يمكن وصف تاريخ العرب الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى زمننا الحالي بأكثر من طريقة وفق تطورات المراحل السياسية. لكن تبقى سمات التقلب والتحول دائمة الحضور وثابتة: الاضطرابات السياسية، والحدود قيد الرسم، والهويات دائمة التفكك والتشكل. من ناحية أخرى، يلقى استرجاع مصطلح «الحداثة» إما همّ التعريف والتحديد الزمني، أو غمّ الخيبة وإخفاقات مشاريع التطور والنهضة. بطبيعة الحال، واكب الفن العربي محاولات النهضة وعكس صراعاتها وخيباتها، باعتبار الفن عملية تخليد للتحولات والتنبؤات. في عام 1994، كتب سعد الله ونوس (1941 . 1997) أحد آخر نصوصه «طقوس الإشارات والتحولات»، بعد معرفته بإصابته بالسرطان. من خلال استعادة حادثة وردت في مذكرات فخري البارودي «تضامن أهل دمشق»، حيث القبض على نقيب الأشراف وهو يستمتع مع مومس، يحكي المسرحي السوري الراحل أحد أسباب فشل المشروع الحداثي العربي باستغلال السلطة الحاكمة للخطاب والمؤسسة الدينيين.

من عنوان مسرحية ونوس، تستلهم «دارة الفنون» عنوان معرضها الجديد «طقوس الإشارات والتحولات» (1995-1975) الذي يفتتح الليلة. تعرض الدار هنا أعمالاً فنية من مجموعة خالد شومان الخاصة بالفن العربي المعاصر، تعنى «برصد التحولات الفنية والتاريخية في العالم العربي» كجزء أول يتبعه لاحقاً جزء ثان يتناول الفترة بين 1995 و2015. 29 فناناً عربياً ستعرض أعمالهم التي انتجت في الفترة المذكورة، بتنسيق يهدف إلى إيضاح علاقة هذه الأعمال بتاريخ المنطقة السياسي والثقافي ضمن الفترة التي شهدت التحولات السياسية في الربع الأخير من القرن العشرين، منذ الحرب الأهلية اللبنانية وما حوته من فظائع مروراً باتفاقيات السلام العربية والانتفاضة الفلسطينية الأولى وحرب الخليج الثانية. بهذا المعنى ، فالمعرض هو عرض للفن العربي وعلاقته بالحدث المفصلي، ليس فقط كمواكبة تعبيرية عكست رد فعل مباشراً، بل أيضاً عما يمكن استنطاقه من هذه الأعمال كشاهد تاريخي وتنبؤ مستقبل على زمن مليء بالتقلبات.

أسماء مهمة يقدمها المعرض لثيمته التي تعنى باشتغالات الحروب والهزائم والمنافي من خلال المدارس المختلفة لحركات الفن المعاصر العربية. يعرض للتونسي عبد الرزّاق السّاحلي «باكو» (سلسلة من 5 ــ1989)، ولآدم حنين سلسلة «خزانات» (سلسلة من 4 ـ 1987)، ولايتل عدنان «حرّودة» (1978). ويعرض للفنان الفلسطيني عزيز عمّورة «صبرا وشاتيلا» (3 من سلسلة من 6 ـ 1984) وللعراقي ضياء العزّاوي «النشيد الجسّدي» (قصائد مرسومة لتل الزّعتر- 1979). كما نشاهد عملي فيديو للفلسطينية منى حاطوم هما «ما أريد كثيرا أن أقوله» (1983) و«قياس المسافات» (1988)، إلى جانب سلسلة «جدران غزّة» لليلى الشوا (1994). وهناك أيضاً أعمال لإسماعيل فتاح انجزت بين 1989 و1995، ولجنان العاني «بدون عنوان» (عمل من حرب الخليج- 1991) ولمروان قصاب باشي (بدون عنوان . وجه) وعملان للسوداني محمّد عمر خليل من مجموعة «البتراء» (1990-1989)، وتركيبان لفيرا تماري بعنوان «كهنة من البحر» (1994) و«حوار» (1995)، وأعمال ليوسف عبدلكي من بينها «أزهار سوداء» (1987)، و«أشخاص» (1993-1992).

> ربط سياق النتاجات الفنية بالتحولات التي شهدتها المنطقة

تعرض الأعمال المختارة بجانب مجموعة كتب ومواد سمعية وبصرية. مثلاً في القاعة الرئيسية للبيت الأزرق، يتصدر عمل بدون عنوان لشاكر حسن آل سعيد قاعة العرض في المنتصف، مع مجموعة صور لعمان أنجزها اللبناني فؤاد الخوري، وتعرض أيضاً مجموعة من الكتب على الجدار منها: «طقوس الإشارات والتحوّلات» (1994) لونوس، و«الحريّة في الفن» و«حوار الفن التشكيلي» (1995) لشاكر حسن آل سعيد، و«مديح الظل العالي» لمحمود درويش (1982)، و«الخماسين» لغالب هلسا (1975)، و«سيرة مدينة: عمّان في الأربعينيّات» لعبد الرحمن منيف (1994). «طيور عمّان تحلّق منخفضة» إلياس فركوح (1981)، بالإضافة الى فيديو محاضرة «الفن المحيطي من منظور البعد الواحد» لشاكر حسن آل سعيد التي ألقاها في «دارة الفنون» (1995). في الغرفة الجانبية المجاورة، تعرض ثلاث لوحات لمنى السعودي بعنوان «تحيّة إلى محمود درويش» (1979، «قصيدة الأرض»، «قصيدة الرمل»، «نشيد الى الأخضر»)، بالإضافة الى فيديو لدرويش وهو يلقي قصيدة «مديح الظل العالي» من تونس بعد مغادرة بيروت عام 1982.

يقترح أسلوب العرض للزائر طريقة أخرى للنظر إلى العمل الفني بربطه بكتاب أدبي أو عمل موسيقي أنتج في الفترة نفسها. النظرة هنا شاملة للحقبة المعنية تربط سياق النتاجات الفنية المختلفة بالتحولات التي شهدتها المنطقة. قد يكون من المحزن التفكير في أن النظر إلى الأعمال الفنية المعروضة بوصفها شواهد باقية للحداثة ومحاولاتها، ونحن نعيش في ظل فقدان مشروعها بعد عقود من الفشل السياسي والديني. بربطه للسياقات، يقترح المعرض أنّ «الحداثة العربية ولدت، ولا زالت، مشروعاً معوّقاً» بحسب تعبير فيصل دراج، وربما الآن، حداثة معلقة على شفير الانهيار.

شاكر حسن آل سعيد، «بدون عنوان» في التسعينيات (مجموعة خالد شومان الخاصة)

«طقوس الإشارات والتحولات: 1975 ـ 1995» ـ حتى 1/1/2016ـ «دارة الفنون» (عمان) ـ للاستعلام: 96264643251

تجهيز

عبد الرحمن قطناني يتخفف من «ثقل» القضية

في معرضه الجديد Softness of a circle، Knife edge of a straight line، وهي عبارة مقتبسة من نص للمخرج الفرنسي الراحل إريك رومير، يخطو عبد الرحمن قطناني (1983) أبعد من معارضه السابقة التي قدمته إلى الجمهور والصحافة على أنه الرسام الشاب الذي صنع من نفايات الحياة اليومية في مخيم شاتيلا فكرته وطموحاته عن الرسم والفن.

لا يزال الفنان في قلب ذاكرته كفلسطيني، إلا أنه لا يريد أن تُبقيه ممارساته الفنية أو انطباعات الجمهور أسير صورة محددة أو مديح جاهز يمكن أن يتحول إلى كليشيه إضافي على مفردات القضية والنكبة والنزوح والمقاومة والكفاح. لقد حوّل قطناني خُردة المخيمات إلى مادة فنية مليئة بالأسئلة الشائكة والجمال المؤلم.

من صفائح الزنك وغالونات الزيت والدهان وأسلاك الغسيل وسدادات قناني البيبسي، استطاع أن يقدم أعمالاً فريدة. خلط النفايات المعدنية بالرسم العادي.

أنجز كولاجات مدهشة بإلصاق ملابس بالية مع نفايات معدنية وخشبية. ثم صنع أشخاص لوحاته من صفائح الزنك مباشرة. في معرضه «توتياء، أسلاك شائكة، وحرية» (2011) خرج أشخاص الزنك قليلاً من حياتهم البائسة والفقيرة إلى نوع خاص من الفرح، ورأينا فتاة تنطّ بسلك شائك بدلاً من حبل، وأخرى تطيّر بالونات معدنية موصولة بسلك في يدها، وصبياً يقود دراجة مقيدة بأسلاك. وفي معرض آخر استضافه «المعهد الثقافي الفرنسي» في لبنان (2012)، عرض قطناني مجسّماً تجهيزياً ضخماً ضمّ ثلاثة بيوت طبق الأصل عن بيوت المخيمات المرتجلة والمتلاصقة والمفتقرة إلى أبسط مقومات السكن الإنساني. البيت الفلسطيني كما هو في المخيم، ثم أنجز معرضاً كاملاً داخل هذا السياق الذي لعب فيه بذكاء بين بيئة أدواته وبيئة العرض. بدأت فكرة الخروج والتحرر من الواقع ومن محدودية الصورة التقليدية للفلسطيني تتدخّل بقوة في شغله وطموحاته التي راحت تستقبل ممارسات معاصرة وأداءات فنية تتجاوز تلك العلاقة الخيطية البسيطة مع ذاكرته كفلسطيني.

الذاكرة موجودة طبعاً في معرضه الحالي الذي تحتضنه «غاليري أجيال»، ويضم خمسة أعمال منجزة بالأسلاك الشائكة، إذْ نشاهد أربع نُسخ لشجرة الزيتون التي صارت استعارة كبرى لتشبُّث الفلسطينيين بجذورهم مقابل عمليات القضم والجرف المستمرة التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي لحقول الزيتون. الترميز الذكي يغيّر وظيفة الشريط الشائك كسياج أو حدود إلى أداءٍ آخر، ويصبح انطباعاً طالعاً من جوهر الموضوع الفلسطيني، حيث الأسلاك مقيمة في الوجدان والروح والذاكرة. هناك فرق حاسم بين إنجاز أشكال بشرية من السلك الشائك، وبين إنجاز شجرة زيتون به. وهذا الفرق يعمل لمصلحة الفنان الذي يبدو أنه استثمر الإقامة الفنية التي حصل عليها في باريس قبل عامين، وعرف كيف يمزج بين أبحاثه الجديدة هناك وبين طموحاته بالتحرر (وإن غير الكامل) من الثقل «السلبي» للقضية الفلسطينية. ولعل تجاور أشجار الزيتون الأربع مع عمل خامس على شكل مجسّم لإعصار يبدأ من أرضية الغاليري ويرتفع إلى سقفها، يمثل كوة أو منفذاً للخروج من واحدية موضوع المعرض. كما أن قطناني نفسه يفضّل أن تُشاهد أعماله بوصفها فناً أولاً، وأن تُشاهد عناصر هذا الفن وجزئياته على أنها مواد أولية لتأليف التجهيز أو المجسم أو اللوحة. هكذا، يمكننا أن ننتبه إلى أن ثمة شاعرية ومهارة في حركة أغصان الأشجار، بينما يبدو الإعصار ملتفاً حول نفسه كراقص غارق في فكرته عن الرقص. ولكن من جانب آخر، الإعصار هو تأويلٌ لما يحدث في المنطقة اليوم، ويهدد الدول والشعوب بالموت والتفتت والتذرر الإثني والمذهبي والطائفي.

هناك هدف تفاعلي موضوع برسم زوار المعرض الذين سيصلهم أولاً انطباع الأذى والمنع في الأسلاك الشائكة، ولكنهم مدعوّون إلى الحفر أعمق من ذلك. قطناني لا يطالبهم بتجاوز المادة الفلسطينية، بل بمزجها بما يتجاوز المعنى المسبق للنضال والقضية إلى أسئلة الفن «الشائكة» أيضاً. وحين يُلصق الفنان مقطعاً من قصيدة شهيرة للشاعر الفلسطيني الراحل يوسف الخطيب بجوار مجسّماته التجهيزية، فهو يُشهر هويته الأصلية لتكون مسألة بديهية في سياق بحثه وطموحاته لتقديم أعمال لا تُدير ظهرها لتلك الهوية، بقدر ما تترجم تطور أسلوب الفنان وتقنياته التي ينبغي أن نقول أخيراً إنها ذكية ومدهشة، ولا تزال تعدنا بالمزيد من الدهشة.

حسين ...

> الإعصار هو تأويلٌ لما يحدث في المنطقة اليوم

«شجرة زيتون» (اسلاك شائكة وجذع شجرة زيتون ــ 190 × 280 سنتم ــ 2015)

معرض عبد الرحمن قطناني: حتى 30 أيار (مايو) ـ «غاليري أجيال» (الحمرا) ـ للاستعلام: 0/1345213.